ان الكاتب الحالي يشعر انه من الضروري جدا ان يلفت انتباه المؤسسات الثقافية الوطنية والافراد ذوي الاهتمام والغيرة على تراث الشعب الفلسطيني الى اهمية مثل هذه الدراسات التي تصور طابع الشعب وتخلق الصلة المعنوية بين الانسان الفلسطيني المشرد وبين أرضه المحتلة التي يحاول الاعداء ان يطمسوا معالمها ويذيبوا شخصيتها تمهيدا لابتلاعها وانكار حق اهلها فيها . ان اثبات مفردات الحياة الشعبية الفلسطينية في عمل موسوعي كبير مدعم بكشف بالمراجع الاجنبية والعربية والتي تعرضت لدراسة الحياة الشعبية الفلسطينية وخاصة ما نشر منها قبل الهجمة الامبريالية الصهيونية على أرض فلسطين يمكن ان يضع أمام القارىء العربي والاجنبي صورة وثائقية عن حياة الشعب الذي يعيش الان في المنفى وتوضح العلاقة الوثيقة بين الناس المشردين وأرضهم المحتلة .

المزارات والاولياء في فلسطين(٢)

تعتمد دراسات الدكتور كنعان لهذا الموضوع على زيارته وملاحظته الشخصية لـ ٣٢٥ مزارا في فلسطين ، كما انه جمع معلومات وافرة عن ٣٤٨ مزارا اخر . ويقول د. كنعان انه كان يحضر الاحتفالات والاذكار والموالد التي كانت تقام في تلك المزارات كما جمع مجموعة كبيرة من الحكايات التي تفسر الظواهر المتعلقة بموضوعه ، واعتمد في دراسته على مجموعة من الأشعار الصوفية والمدائح والامثال والاقوال المأثورة . وكانت لديه مجموعة من الحجابات التي صنعها المشايخ بهدف البركة والعلاج الشعبي . ويقول د. كنعان عن طبيعة دراسته : « ان هذه الدراسة توصل القارىء بشكل مباشر للحياة اليومية في فلسطين ، وتوضح كل ما هو غامض في اذهان الناس في مجال المعتقدات والخرافات الشعبية . كما تعطي هذه الدراسة مقارنة مع ما كان سائدا في الازمان البدائية ، وتظهر ان العديد من المعتقدات والخرافات ظلت منذ الاف السنين عالقة في اذهان الناس في الوسط الشعبي » . ويعرف الدكتور كنعان المزار ويقول انه لا يعني بالمزار ذلك المكان الذي يدفن فيه نبي أو ولي من أولياء الله المعروفين فحسب بل يعني بالمزار كل حرم او معبد او ضريح أو شجرة او شجيرة ، او كهف او نبع او بئر أو صخرة والتي يوليها الناس تقديسا أو احتراما خاصا سواء كان ذلك يعتمد على معتقدات دينية او خرافية .

وبعد ذلك يفيض المؤلف في دراسة مواقع المزارات المنتشرة في فلسطين وانماطها ويدرسها من الناحية المعمارية والمعتقدية ويوضح وجود النموذج الامثل للمزار الذي يضم ضريحا وقبة ومقاما ، وتلك المزارات التي لا تحوي ضريحا وتلك التي هي مجرد « حويطة » أو كومة من الحجارة . ويعدد المزارات بأسمائها ومواقعها في فلسطين . ويتحدث المؤلف عن الطقوس والممارسات الدينية التي يمارسها الشعب في هذه المزارات والتي تتلخص في أداء العبادات وقسم الايمان والوفاء بالنذور وطلب البركة والشفاء . ويذهب الفلاح الفلسطيني الى المزار للحصول على البركة التي تشع من المكان المقدس لكل شخص يتصل به او يمر بيده على الستائر والضريح والبناء . كما اعتاد الناس أن يودعوا ممتلكاتهم المنقولة لتكون في حمى الولي ، اما الممتلكات غير المنقولة مثل المحاصيل في الحقول فانهم يضعونها « بوجه الولي » اي يعلنون انها تحت حمايته فلا يجرؤ احد على مسها .

ومن الممارسات الشعبية في المزارات ذات الصبغة السحرية ربط الخرق بنوافذ المزار واشجاره . ويعلل المؤلف هذه الظاهرة فيقول انها تهدف الى اثبات زيارة الانسان للمقام وتذكرة الولي بالزائر ورغباته . ويربط المريض الخرقة ويقول : « رميت عليك حملي يا ولي الله » . وهذا النوع من الممارسة الشعبية يسمى بالسحر الاتصالي . اذ ان كل شيء كان على اتصال بشخص ما او كان له به علاقة سوف يستمر بحمل العلاقة